

واقع المخطوطات الجزائرية دراسة للمخطوطات في الخزائن الخاصة و المكتبات العامة

د. بونقاب مختار

جامعة معسكر

البريد الإلكتروني: mboungab@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2017/01/12

تاريخ الاستلام: 2016/12/10

الملخص:

إن الاهتمام بالمخطوطات هو إحياء للتراث الثقافي الجزائري ، هذا التراث الفكري الذي يعد مقياس مساهمة كل أمة في الحضارة الإنسانية ، كما يبرز نسبة صمودها في الحفاظ على الذاكرة الجماعية و التاريخية لشعوبها. نسعى من خلال هذه الورقة إلى إبراز أهمية المخطوطات الجزائرية ، وواقعها في الخزائن الخاصة – المكتبات العائلية – كمراكز غير رسمية ، وفي المكتبات العامة باعتبارها مراكز رسمية ، معتمدين في ذلك على أنموذجين اثنين هما :

1- واقع المخطوطات في الخزائن أو المكتبات الخاصة والتي غالبا ما تنعدم فيها الفهرسة، و تقل فيها العناية بالمخطوطات ، فكثيرا ما تكون عرضة للتمزيق ، البتر ، أو الإتلاف ... إضافة إلى صعوبة إن لم نقل عدم إمكانية الاطلاع عليها و استفادة الطلبة و الباحثين منها ، وقد ركزنا عملنا على نماذج من منطقة معسكر.

2- واقع المخطوطات في المكتبات العامة أو العمومية أين تكون مفهرسة ، معالجة فنيا و علميا و مصنفة ، مما يتيح الفرصة للاطلاع عليها و بالتالي الاستفادة منها ، زيادة على إمكانية تحقيقها ، وقد ركزنا على المكتبة الوطنية الجزائرية وعرفنا بما تقوم به من مجهودات للحفاظ على المخطوطات و العناية بها بغية التعريف بالتراث الثقافي و الفكري الجزائري .

الكلمات الدالة:

المخطوطات ، المكتبات ، الفهرسة ، التحقيق ، معسكر ، المكتبة الوطنية .

العنوان بالإنجليزية:

The reality of the Algerian manuscripts is a study of the manuscripts in the safes
Private and public libraries .

Abstract:

the conference will deal with the importance of manuscripts and their reality in
Algeria through existence in public and private libraries .

We will focus on the place and situation of the manuscript through its
conservation, and protection , and its nomenclature, and the extent of its
exploitation from researchism , students , and the public at large . on the basis of
programmes of officials {El hamma library} and unofficial centers {Mosqs and
Zaouia s libraries} .

Key words:

Manuscripts , private libraries , conservation , protection , Elhamma library

تعد المخطوطات جزءا من التراث الثقافي، و التاريخ الحضاري الذي عرفته الحضارة العربية
الإسلامية ، فهي أحد حوامل العلم ، و المعرفة ، و أحد معايير ما وصل إليه مجتمع ما من تطور
فكري، و مادي ، يسعى أصحابها — من خلالها — لحفظ المعرفة الإنسانية، و نقلها إلى الأجيال
القادمة .

إن الحديث عن المخطوطات يعني الحديث عن التاريخ، و الفكر، و الثقافة لأن المخطوط كانت و ما
تزال مصدر إطلاع ، أو وعاء تثقيف ، و وسيلة لتحريك الفكر، و تعزيز الوصول إلى المعرفة ، باعتبارها
تجمع الإسهامات العلمية، و الأدبية، و الاجتماعية ، و الدينية التي تركها السابقون للأجيال اللاحقة .
تزخر الجزائر بغيرها من البلدان العربية الإسلامية بتراث علمي ، و فكري ، و ديني مخطوط يمثل
الذاكرة التاريخية، و الثقافية التي تؤصل للذات الجزائرية ، هذا المخزون الذي لا يزال مبعثرا بين
رفوف المكتبات، و مخازن العائلات ، موزعا بين المساجد، و الزوايا ، على ضوء ذلك سنحاول في هذه
الورقة الموسومة : " واقع المخطوطات الجزائرية " إبراز مكان المخطوطات الجزائرية و مكانتها بالتركيز
على أنموذجين ؛ الأول خزائن المخطوطات العائلية بمنطقة معسكر ، و الثاني المكتبة الوطنية الجزائرية

، في هذه المقارنة نسعى لمعرفة واقع المخطوطات و مكانتها ، و كذا مدى أهميتها، و الاستفادة منها ، و عليه طرحنا الإشكالية التالية :

- ما واقع المخطوطات الجزائرية ؟

-كيف يتعامل الأشخاص و العائلات مع المخطوطات كتراث ثقافي ؟

-ما مصير هذه المخطوطات ؟

-هل للمكتبة الوطنية الجزائرية من الإمكانيات و الوسائل المادية و البشرية التي تخصصها للمخطوطات ما يجعلنا نطمئن على هذا المخزون الهام و الذخر العظيم .

-ما مدى قدرة مراكز المخطوطات في الجزائر على تجاوز العراقيل ، و توفير الظروف و التسهيلات للباحثين من أجل الاطلاع عليها ؟

-ما مدى مساهمة المخطوطات الجزائرية في تطوير البحث العلمي في ظل حوامل المعلومات الجديدة ؟ للإجابة على هذه الأسئلة حصرنا الموضوع في عناصر ثلاثة :خصص أولها للمخطوطات في الجزائر.

وثانيها حول واقع المخطوطات في خزائن بعض العائلات العسكرية . أما ثالثها فركز على المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية . كما اعتمدنا في هذا العمل على مجموعة مراجع متخصصة من ناحية ، و على دراسة ميدانية من ناحية ثانية قادتنا إلى زيارة بعض خزائن المخطوطات بمنطقة معسكر ،ومحاورة أصحابها قصد تكوين فكرة عن الموضوع .

المخطوطات في الجزائر :

شهدت الجزائر كغيرها من البلاد العربية الإسلامية اهتماما كبيرا بالمخطوطات تأليف و نسخا ، و عُرفت بمراكز ومخازن جمعت التراث المخطوط في مختلف فنون المعرفة الإنسانية من فقه ، و عقيدة ، و تفسير ، و حديث ، و فلسفة ، و تصوف ، و بلاغة ، و حساب ، و طب ، و فلك ، و زراعة ، و كيمياء ،... و عملت بفضل رجالها من العلماء و رجال الدين على تنشيط الحركة العلمية ، و تفعيل الفعل الثقافي ، فازدهرت حركة التعليم و التأليف ، وظهرت المراكز التي تُعنى بالمخطوط جمعاً و حفظاً كالزوايا ، و المساجد ، و الخزانات الشعبية . إن اهتمام الجزائر بالمخطوطات يعود لسببين على الأقل ، يتمثل الأول في بروز فئة من العلماء و الكتاب الذين ساهموا بتأليفهم و كتاباتهم في إثراء الخزائن

و المكتبات . أما السبب الثاني فيعود لموقع الجزائر الذي يجعل منها محطة عبور القوافل ، و مجال مرور العلماء ، و رجال الدين ، مما منحها فرصة التعرف على بعض المخطوطات .

يشير عبد الكريم عوفي إلى أن بداية الاهتمام بالمخطوطات في الجزائر كان مع بداية عمل بعض المستشرقين الفرنسيين و الضباط المثقفين الذين عملوا على جمع المخطوطات وفهرستها .¹ إلا أن الاهتمام بالمخطوطات كان قبل ذلك ، وفي هذا السياق يقول سعد الله : " ... كانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف و النسخ ، أو تجلب من الخارج لا سيما من الأندلس و مصر و اسطنبول و الحجاز ... و كانت تلمسان - قبل مجيء العثمانيين - عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب تأليفا و نسخا و جمعا درجة عالية ، و كذلك بجاية و قسنطينة " .²

تشهد عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا و جمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها ، و من تنوعها و جمالها ، و العناية بها ، فقد اعترف بذلك البارون " ديسلان " الذي كتب تقريرا عن المكتبات بقسنطينة عقب احتلالها مباشرة ، كذلك " أدريان بيربروجر " الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة و تلمسان و معسكر ، و جمع المخطوطات من هذه المدن . أما " شارل فيرو " الذي كتب عن المؤسسات الدينية في قسنطينة و عن العائلات الكبيرة بها ، فقد ذكر أن بعض هذه المؤسسات ، و العائلات كانت تحتفظ بمخازن من المخطوطات في حالة جيدة ، و أن في هذه المخطوطات نوازل تعتبر فذة في موضوعها .³ يشير محمد صاحبي أن هذه الكتب و المخطوطات كانت تصل إلى الجزائر عن طريق ما يلي :⁴

*/ هجرة أهالي الأندلس نحو المغرب الإسلامي و خاصة بعد سقوط غرناطة .

*/ الإنتاج المحلي ، مادة و علما ، حيث اشتهر العديد في ذلك .

*/ انتقالها عبر الحجيج و العلماء ، من مصر و الحجاز .

*/ الاستنساخ ، و قد شاعت هذه الحركة ، حتى أنه كانت لها أسواق رائجة ،

و اختصاصيون مشهورون .

*/ وقف عدد مهم من المخطوطات على الجوامع والمساجد ، الزوايا ، سواء من طرف العلماء ، أو من طرف العوام من الناس .

و الواقع أن مصير هذه المخطوطات لم يكن دائما آمنا ، فقد ضاع أو تلف الكثير منها نتيجة الإهمال ، و الحروب ، والنهب ، و التهريب ، و كذلك جراء الحرائق و الفيضانات ، و غيرها من العوامل الطبيعية و البشرية ، يعزز ذلك عبد الكريم عوفي حين يذكر أن الاستعمار أحرق آلاف المخطوطات ، و نهب أنفسها ، فما سلم من يد المستعمر لم يحفظ في أماكن لائقة ، إذ أن الكثير منه ظل مدفونا تحت الأتربة و في الأقبية و في الأضرحة ينتظر الموت البطيء⁵ . إضافة إلى ما سبق ذكره ، لا بد لنا هنا أن نشير إلى عملية هجرة المخطوطات و نقلها من مكان إلى آخر، كهجرة مخطوطات مكتبة الأمير عبد القادر من " الزمالة " إلى باريس ، وقد تكون هذه الهجرة لأغراض علمية ، أو لأغراض تجارية ، و هو العمل الذي يقوم به تجار المخطوطات من خلال تتبع المخطوطات النادرة و المهمة في أرجاء العالم ، و اقتنائها بأزهد الأثمان استغلالا لجهل أهلها بقيمتها ، ثم بيعها بأعلى الأثمان لمن يدرك قيمتها من العلماء و المكتبات و المتاحف⁶ .

المخطوطات في الخزائن الخاصة :

و للوقوف على أهمية المكتبات الخاصة ، ارتأينا دراسة بعض خزائن منطقة معسكر كأثلة لمحاولين التعريف ببعضها حسبما توفر لنا من وقت و جهد ، و هي كالتالي :

*/ خزانة الشيخ البشير محمودي :

استند الشيخ محمودي على خزانة جده الشيخ "عمر بن دوبة" التي كانت تحتوي على أكثر من 400 مخطوط نفيس ، فكانت أحد منابع تعلمه ، تنقل بعد ذلك داخل الوطن و خارجه و بذل الجهد و المال لجمع أمهات الكتب و أنفس المخطوطات في مختلف الفنون و العلوم⁷ . أثناء زيارتنا لخزانة الشيخ البشير محمودي بمسكنه الكائن في دائرة البرج ولاية معسكر عام 2001 ، وجدناها تنقسم إلى ثلاثة خزائن صغيرة تجمع عددا من الكتب و المخطوطات الأصلية و المنسوخة ، و هي الكتب و المخطوطات التي كان الشيخ البشير مهوسا و مفتونا بها ، لدرجة أنه كان يقوم بجمعها ، و نسخها بنفسه ، لتصبح جزءا من التراث العربي الإسلامي . إن إلمام الشيخ محمودي بتفاصيل خزانته ، و ما تحويه من كتب جعلنا نندهش من معرفته مكان و موقع كل مخطوط من خلال الإشارة باليد رغم مرضه و عدم قدرته على القيام من فراشه⁸ . و على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الشيخ في جمع

المخطوطات ، فإنه ظل يتألم و يتحسر على ضياع الكثير منها بسبب أن كثيرا من الباحثين لم يرجعوا هذه المخطوطات المعارة إلى صاحبها .

أما بخصوص خزانة الشيخ البشير فقد جمع أغلب محتوياتها الدكتور حمدادو بن عمر في مقاله : " مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي " ⁹ إذ يذكر أنه قدم قائمة مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي كما نقلها عنه ، إلا أنه يعرفنا على محتوى خزانتيها منها فقط ، دون التطرق إلى الخزانة الثالثة . نهج سبب إغفال محتوى الخزانة الثالثة ، هل لاحتوائها على كتب لا مخطوطات ، أم لعوامل أخرى قد تتعلق بالشيخ ، أو بالأستاذ حمدادو؟

تحتوي مكتبة الشيخ البشير محمودي حسب ما ذكره حمدادو - في خزانتيها فقط - على 183 مخطوطا ، و ردت عناوينها في قائمة . و لم يقتصر دور الشيخ محمودي على جمع المخطوطات ، بل كان يلجأ إلى نسخ بعضها مستعملا ألوانا مميزة في الكتابة .

فقد كان يضع الألوان المناسبة مثل اللون الأزرق و الأخضر و الأحمر و البنفسجي

و الأسود ، وقد ذكر الشيخ بهذا الخصوص : " كل لون له دلالة خاصة به ، إما للتزيين و إما لإبراز إشارة مهمة و إما للتسطير و إما للوقوف على مسألة ما " ¹⁰ . أما فيما يخص الخط فإن الشيخ كان له ثلاثة أنواع من الخطوط كلها مختلفة عن بعضها البعض ، و لكن ترجع في أصلها إلى الخط المغربي ، فكان يتفنن في الكتابة من مخطوط لآخر . مثل الشيخ البشير محمودي الجزائر في عديد المناسبات و التظاهرات الثقافية داخل الوطن و خارجه ، لاهتمامه بجمع المخطوطات و نسخها ، وكان في ذلك حريصا ، دقيقا ، و موضوعيا ، و لعل مشاركته في فرنسا و إبرازه للتراث الثقافي الجزائري - من خلال اهتماماته - دليل على ذلك ، و قد ذكر لنا السيد بومدين عبد الحميد - مدير الثقافة بولاية معسكر سابقا - أن الشيخ البشير محمودي رحمه الله كان نسابة تلجأ إليه بعض العائلات لإبراز نسبها الشريف . ¹¹ توفي الشيخ البشير محمودي سنة 2003 تاركا إرثا كبيرا و ذخرا عظيما ، وقد حاولنا زيارة مكتبته مرة أخرى لكننا لم نوفق في ذلك نظرا لصعوبة الإتصال بالورثة و منذ سنوات قليلة ، و أنا بصدد الإشراف على طالبة بجامعة معسكر تشتغل على الشيخ أبي رأس الناصري - تفاجأت بما جمعته من مادة علمية أغلبها عن مخطوطات نادرة ، و كان ذلك من خزانة الشيخ محمودي الذي تربطها

بعائلته علاقة قرابة ، و بذلك استفدنا من عدد لا بأس به من مخطوطات هذه الخزنة .¹² أفنى الشيخ البشير محمودي عمره في جمع المخطوطات و الاهتمام بها ، فجمع مكتبة حوت مجموعة كبيرة من الكتب النفيسة و المخطوطات النادرة التي نرجو الحفاظ عليها و الاستفادة منها ، كما أنه كان من بين آخر النساخ الجزائريين - مع قتلهم - الذين تعلقوا بفن الخط ، و إننا لتأسف اليوم على أن هذه الحرفة أصبحت تسير نحو الزوال . وقد أخبرنا مؤخرا من نثق به أن إماما من مدينة جديوية اشترى مكتبة الشيخ البشير محمودي من ورثته بما فيها من مطبوع و مخطوط .

✽ خزانة الشيخ بوكعبر بلقرد :

لا تقتصر خزائن المخطوطات بمنطقة معسكر على خزانة الشيخ محمودي فحسب ، بل تزخر المنطقة بالعشرات من المكتبات العائلية أو الشعبية التي يجمع أصحابها المخطوطات ، و نشير هنا إلى الشيخ بوكعبر بلقرد الذي ينحدر من عائلة علم ، اهتم الشيخ بوكعبر بالمخطوطات منذ لقائه بالشيخ البشير محمودي سنة 1982 ، و تنافسهما في سوق المدينة الجديدة بهران على كتاب أراد كل منهما الظفر بشرائه ، إذ ذكر لنا الشيخ بلقرد العلاقة التي ربطته مع الشيخ محمودي ، علاقة قائمة على حب الكتاب و المخطوط . و يضيف الشيخ بوكعبر بلقرد قائلا إن مكتبته تحتوي على حوالي 5000 عنوان ، وأن محتويات خزانته من المخطوطات هي كالتالي :¹³ ما بين 60 إلى 70 مخطوطا أصليا { مخطوط حي } ، منها 04 أو 05 مخطوطات أصلية نادرة مثل " حاشية الشيخ الرماصي على السنوسية " الذي يرى أنه يتوفر على النسخة الأصلية الوحيدة .المئات من المخطوطات المصورة .حوالي 140.000 مخطوطا مسجل رقميا .وهو الآن يدير معهدا خاصا { مدرسة الأمير عبد القادر في العلوم الشرعية } بمدينة وهران ، و يشرف على مجموعة طلبة يعملون على تحقيق المخطوطات . للإشارة فقط فإن الشيخ بلقرد كان قد حقق مخطوط " الكوكب الدري " للشيخ أبي رأس الناصري ، ومن أهم المخطوطات التي تحتويها خزانته نذكر حسب ما ذكره لنا¹⁴ :

شرح السنوسية الكبرى للإمام السنوسي .

شرح منظومة القدسية لسيد عبد الرحمن الأخضر .

شرح السنوسي لمختصره في المنطق

الكوكب الدري في الكلام على الجذري .

يشرف الشيخ بوكعبّر حاليا على مجموعة طلبة في " مركز لتحقيق التراث تابع لمدرسة الأمير عبد القادر في العلوم الشرعية "بهران .

* خزانة الشيخ الحاج بلعيد برواين :

يعد الحاج بلعيد برواين أحد المهتمين بتراث و تاريخ منطقة معسكر ، و له مكتبة خاصة بمنزله في مدينة " بوحنيقية "، جمع فيها المئات من كتب الفقه ، و التراجم ، و النوازل ، و الأنساب ، و الرحلات ، و الأنساب ، و التصوف ، و الأدب ... اهتم مؤخرا بتاريخ المنطقة ، أشرافها ، أوليائها ، علمائها ... ، كما كانت له تجارب في نسخ المخطوطات ، إذ نسخ " القول الأعم في ذكر قبيل الحشم " و " السلسلة الوافية و الياقوتة الصافية " و " منظومة عيسى بن موسى الإغريسي " ، و كان قد تعلم المبادئ الأولية للنسخ على يد " الشيخ محمودي البشير " ¹⁵ . بعد ذلك انشغل بإنجاز بحث حول " النسب و الشرف بمنطقة معسكر " ، و بغية إتمام عمله هذا ، اضطر إلى البحث عن بعض المخطوطات التي من شأنه أن يوثق بها مؤلفه ، و منه بدأت تجربته مع المخطوطات ، و اهتمامه بها .

إلى جانب جمعه بعض المخطوطات المنسوخة ، و المصورة ، فقد جمع مئات المخطوطات المصورة رقميا . أهمها : ¹⁶

- التحفة المرضية في البلاد البكداشية .
- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر .
- الرحلة الناصرية في جزأين .
- شجرة الشامة ، أصلها ثابت و فرعها في السماء .
- عجائب الأسفار و لطائف الأخبار في جزأين .
- كتاب التحقيق في النسب الوثيق .
- قصيدة في علوم القرآن .
- فتح وهران .
- الزهرة النائرة حينما أغارت على الجزائر الجيوش الكافرة .

- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس .
 - السيرة الذاتية للأمير عبد القادر .
 - كتاب الجمان في أخبار الزمان .
 - رسائل تاريخية خاصة بالأمير .
 - عقد الجمان النفيس .
 - ربح التجارة و مغنم السعادة .
 - الدرة الأنيفة في شرح العقيدة .
 - بلوغ الأمان في مناقب القطب الرباني الشيخ التجاني .
 - تاج الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر .
 - توهين القول المبين .
 - علم النصرة في تحقيق قراءة عالم البصرة .
 - وقف و تقييد القرآن للهبطي .
 - جوهرة العقول في ذكر آل الرسول .
 - رسائل الشيخ الدرقاوي .
 - سيرة سيدي أحمد بن يوسف الملياني .
- يحاول الآن الشيخ بلعيد مواصلة عملية نسخ المخطوطات التي تستهويه ، لكن عدم توفر الورق الخاص بالنسخ يمنعه من ذلك .

* خزائن أخرى :

تتوزع منطقة معسكر بخزائن المخطوطات لعدد العائلات و الأسر العسكرية ، منها :

* مكتبة "الحاج جلول الجيلالي" وهو أحد المهتمين بتراث المنطقة ، كان معلما ، ثم شغل منصبا في مصلحة التراث بمعسكر ، ورث مكتبة عمه السيد "جلول البدوي" ، و تمكن من جمع عدد من المخطوطات وبخاصة تلك المتعلقة بالأنساب ، وعلماء معسكر ، وأوليائها .

زرنا مكتبة جلول الجيلالي الغنية بالكتب النادرة ، كما تبادلنا معه بعض المخطوطات المصورة ، لكننا لم نوفق في معرفة رصيده من المخطوطات ¹⁷. كتب الحاج جلول بعض الكتب ، التي طبعت بتمويل من مديرية الثقافة لولاية معسكر ، مثل : "معسكر: رجال وتاريخ" ، و" كتاب حول علماء غريس" ، كما ذكر لنا أنه بصدد طبع مخطوط " درء الشقاوة في حرب الترك مع درقاوة " ، لكن عدم تخصصه ، جعل منهجية البحث العلمي غائبة في مؤلفاته ، و كان ينقصه التفتيش ، و التعميش ، و التهميش ، على حد قول " أسد رستم في كتابه " مصطلح التاريخ " ، مما يجعله يقع في الغلط ، و الخطأ ¹⁸.

«مكتبة عائلة شنتوف : وهي عائلة علم ، تنتسب إلى الطريقة الدرقاوية ، ولا تزال تشرف على الزاوية الدرقاوية بمدينة معسكر ، لهذه العائلة مكتبة تحوي مجموعة من الكتب ، و كذا عدد من المخطوطات التي كتبها أفراد العائلة نفسها في مختلف الفنون ، و العلوم ، أهمها : "رسالة التجريد و التفريد" ، و" الحقيقة و المجاز في الرحلة إلى الحجاز " ،

« مكتبة الأستاذ بونقاب مختار ¹⁹ : إضافة إلى أكثر من ألف كتاب — أغلبها — في التاريخ ، و الدين ، و الآداب ، تحتوي المكتبة على عدد من المخطوطات الأصلية ، و المصورة . أهمها :

— المخطوطات الأصلية : جزء من القرآن الكريم ، وهو مخطوط قديم مبتور ، أمدا به الأستاذ الشيخ بن عمر . مخطوط فقهي مجهول ، زودنا به " الشيخ بلعيد برواين" — معلم قرآن بمدينة بوحنيقية —

— المخطوطات المصورة : حوالي 70 مخطوط ، أغلبها في التصوف ، و التاريخ ، و الأنساب ، الدين ... جمعناها بحكم المهنة ، و رئاستنا "لجمعية أصدقاء الكتاب" بمعسكر ، و كذا من خلال زياراتنا

المتعددة للمغرب الأقصى و الرقمية .مسجل في حوامل إلكترونية .

« هناك عائلات أخرى تمتلك عددا هاما من المخطوطات ، لكنه لم يسعفنا الحظ و الظروف للإطلاع عليها ، مثل :

عائلة شريفي بمدينة " تيزي " ، ولاية معسكر .

عائلة المشرفي في بلدية " الكرط" ، ولاية معسكر ، وكانت هذه العائلة من أشهر بيوتات العلم ، يعرف أفرادها بمؤلفاتهم .

عائلة سلطاني المنتشرة في كل من " تيغنيف " و معسكر.

مكتبة الحاج محمد عبد الوهاب بمنزله وسط مدينة معسكر الغنية بالكتب و المخطوطات .

إضافة إلى خزائن منطقة "البرج" ، و " غريس " ، و " تيغنيف " ، و " الكرط " ، و زلامطة " ، ...

هذه العائلات التي لا تزال تحتفظ بمخطوطات ، و خزائن أجدادها كموروث تاريخي ، و حضاري .

هذا فيما يخص المكتبات ، و الخزائن الخاصة ، لكن زوايا معسكر ، و بعض مساجدها لا تزال تحتفظ

ببعض المخطوطات النادرة ، لا بد لنا في هذا المقام الإشارة إلى المكتبة البلدية لمدينة معسكر التي تجمع

العديد من المخطوطات المصورة ،

المخطوطات في المكتبة الوطنية:

تعد المكتبة الوطنية الجزائرية أهم مركز رسمي للمخطوطات في الجزائر ، ليس من حيث رصيدها

فحسب ، بل من حيث حفظها ، فهرستها ، تصنيفها ، و العناية بها ، إضافة إلى جعلها في متناول

الباحثين و المهتمين قصد الاستفادة منها ، ومنه تتبدى أهمية المكتبة في الاهتمام بالمخطوط . تتوفر

المكتبة كذلك على موظفين مدربين و متخصصين يعملون بوسائل و آليات متطورة في سبيل الحفاظ على

قيمة المخطوط . يتزايد رصيد المكتبة الوطنية من المخطوطات باستمرار ، وذلك عن طريق الشراء ، استقبال

الهدايا ، أو التبادل ، { 3369 مخطوط سنة 1999 ، أكثر من 4000 مخطوط سنة 2011 ،

و ما يزيد عن 5000 مخطوط عام 2013 } و يمر المخطوط بعدة مراحل بداية من عملية الجرد إلى

غاية تقديمه للباحث نوجزها في مايلي :

1 - الفهرسة : وقد تكون " وصفية " وذلك بوصف ملامح المخطوط قصد سهولة التعرف عليه ، أو " موضوعية " وهي التي تهتم بالكيان الموضوعي للمخطوط . تتخذ الفهرسة أشكالا و أنواعا ، فمن

أشكالها نذكر الفهرس البطاقي ، و فهرس في شكل كتاب ، أما عن أنواعها فنجد فهرس العنوان ،

فهرس المؤلف ، و فهرس الموضوعات ²⁰ .

2 - الحفظ الوقائي للمخطوطات و طرق معالجتها : هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى إتلاف

المخطوطات كإصابتها بالجراثيم ، و الحشرات ، و القواضم ، وهو ما يسمى " بالتلف البيولوجي " . أو

كفساد و انكسار هيكل الورقة المكونة المخطوط ، وهو ما يدعى " التلف الكيميائي " . زيادة على تمزيق

أوراق المخطوط نتيجة المعاملة الخشنة التي يتعرض لها ، و هو ما يسمى " التلف المادي " . ذلك ما استوجب وجود حفظ وقائي ، و طرق علاجية في الوقت نفسه حسب ما تذكره خضرة سباح .²¹

أما الحفظ الوقائي فيكون عن طريق :

الاعتناء بمخازن الحفظ نظافة و تنظيمها .

المعاملة المناسبة للمخطوطات .

توفير الظروف المناخية الملائمة .

مكافحة عوامل التلف البيولوجي .

الوقاية ضد الحرائق و الفيضانات .

بينما تتمثل طرق معالجة المخطوطات في التالي :

عملية التطهير و إبادة الحشرات : المعالجة الحيوية .

إزالة الحموضة الزائدة بوضع الورقة في محلول بيكاربونات الكالسيوم .

إزالة البقع باستعمال محاليل كيميائية : المعالجة الكيميائية .

الترميم و ذلك بإزالة الثقوب ، و تصليح التمزقات ، و إعادة الصلابة للورقة ، و التجليد الفني .

توفر لنا التكنولوجيا الحديثة حاليا وسائل جديدة لحفظ و صيانة المخطوطات ، فالرقمنة تعمل على

تحويل مختلف أنواع المعلومات المكتوبة ، المطبوعة ، المصورة ، المرسومة ، و المخطوطة في الوثيقة إلى

ذاكرة الحاسوب عن طريق تحويلها إلى إشارات رقمية قابلة للتخزين في ذاكرة الحاسوب ، وأوفي وسائط

إلكترونية أخرى .²² تعد " الأقراص الضوئية المدمجة " التي يتسع الواحد منها إلى حوالي 65000

صفحة ، و " الميكروفيلم " الذي يضم تسجيل مصغر للوثائق و المعلومات ، و كذا " البرمجيات " التي

تحول صورة الكلمة إلى رموز - تعد من أهم وسائط تخزين البيانات حاليا .²³ تتوفر المكتبة الوطنية

على جهاز " ماسح ضوئي " لتصوير المخطوط ، ثم تنسخ صورة المخطوط في قرص مضغوط ، و يوجد بها :

كاميرات مزدوجة 16 - 36 مم .

آلة تحميض الميكروفيلم .

آلة نسخ الميكروفيلم .

ماسح ضوئي للمخطوطات الكبيرة الحجم .

جهاز ماسح للميكروفيلم ، و جهاز تحويل من الميكروفيلم إلى القرص المضغوط

وهي تسعى اليوم للأفضل من خلال رقمنة المخطوطات ، و حفظها ، و صيانتها ، و الدعوة إلى

تحقيقها ، و ذلك لضمان إتاحتها للباحثين ، كما تطمح بتوفير غلاف مالي يسمح لها باقتناء الوسائل

المادية و التقنية ، و إجراء تربيصات و دورات تدريبية لصالح عمال مصلحة المخطوطات .²⁴

تكتسي العناية بالمخطوط أهمية خاصة باعتبارها مهمة تاريخية ، ووطنية ينبغي أن ترصد لها الإمكانيات

المادية و البشرية ، و هو ما يقع على عاتق المكتبة الوطنية ، و مخابر البحث الخاصة بالمخطوطات التي

عليها اللجوء للتكنولوجيا الحديثة لحفظ ، و صيانة ، و ترميم ، و فهرسة ، و تحقيق ، و رقمنة

المخطوطات .

في ختام موضوعنا هذا المتعلق بالمخطوطات مكانها و مكانتها ، تمكنا من الوصول إلى النتائج التالية

- يجب التعاون للقيام بفهرسة و جرد المخطوطات الجزائرية لإنقاذ ما تبقى من تراث تاريخي ،
وللحفاظ على الموروث الثقافي .

- شأنها شأن الأرشيف ، تعتبر المخطوطات مصدرا هاما في الدراسات التاريخية ، و البحوث العلمية
، خاصة تلك المتعلقة بالعلوم النقلية ، و تراجم علماء الدين .

- نسجل صعوبة الوصول إلى المكتبات الخاصة ، و الخزائن الشعبية لتخوف أصحابها من ضياع ما بها
من مخطوطات ، إذ غالبا ما يتطلب دخولها و التعرف على محتوياتها معرفة شخصية ، أو توصية من
جهات معينة .

- إن المكتبات و الخزائن العائلية و ما تزخر به من مخطوطات نادرة يصعب حصرها و التعرف على
محتوياتها بالنظر إلى التكتم و التحفظ الذي تبديه العائلات بخصوص الموضوع .

- رفض بعض العائلات تقديم مخطوطاتها ، أو نسخ عنها بدعوى أنها تمثل بركة و إرثا عائليا و قد
تبرر بعض التجارب السيئة هذا الخوف ، كتهريب المخطوطات أو سرققتها .

- إن ضياع المخطوطات هو نتاج غياب الوعي لدى الورثة الشرعيين لهذا الإرث الثقافي و الحضاري
الذي يمثل الذاكرة الجماعية .

- لا يجب النظر إلى المخطوطات على أنها تحف نزين بها رفوف المكتبات المنزلية ، أو كتب نتبرك بها ، بل لا بد من تقديمها للمختصين قصد تقديمها ، و تحقيقها ، و من ثم الاستفادة منها .
 - * / يجب التفكير في رقمنة المخطوطات كتراث مكتوب لنقيه من الضياع و التلف .
 - ننوه بالدور الذي يقدمه النساخون القلائل في الحفاظ على ما بقي من هذه المخطوطات ، خاصة و أن عددا كبيرا منها لا تتوفر إلا على نسخة واحدة .
 - نلفت انتباه القائمين على دور الأرشيف ، و مراكز المخطوطات إلى ضرورة تقديم التسهيلات ، و رفع العراقيل أمام عمل الطلبة ، و الباحثين .
 - نثمن مبادرة الجزائر لشرائها حوالي 600 وثيقة كانت قد وضعت في المزاد العلني ب فرنسا ب 94 ألف أورو ، تضم كتب ، و وثائق ترجع إلى العهد العثماني ، و عهد الاحتلال الفرنسي .
- الإحالات :

- 1/ عبد الكريم عوفي ، " جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن السابع عشر حتى نهاية القرن العشرين " الثقافة ، العدد 117 - 118 ، السنة 1999 ، ص : 36 .
- 2/ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1999 ، ص : 285 .
- 3/ لمزيد من المعلومات ، يراجع : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 286 - 309 . نوار جدواني ، " مخطوطات المكتبة الوطنية و أهميتها للباحثين " الثقافة ، العدد 117 - 118 ، السنة 1999 ، ص : 59 . و المجلة الإفريقية لسنة 1925 ، ص : 103 - 106 . و المجلة الإفريقية لسنة 1892 ، ص : 165 . و مقال " المخطوطات في الجزائر ... كنوز بلا حراس " جريدة الفجر ، بتاريخ 08 ماي 2001 .
- 4/ صاحبي محمد ، " تاريخ الجزائر الثقافي من خلال المخطوطات " ، عصور ، جامعة وهران ، العدد 01 ، 2002 ، ص:ص 41 ، 42 .
- 5/ عبد الكريم عوفي ، المرجع السابق ، ص : 36 .
- 6/ عز الدين بن زغبية ، " هجرة المخطوطات : الأسباب و الطرق " ، عصور الجديدة ، جامعة وهران ، العدد 01 ، السنة 2011 ، ص : 152 .
- 7/ حمدادو بن عمر ، " مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي " ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، جامعة وهران ، العدد 01 ، السنة 2004 ، ص : 157 .

- 8/ نشير هنا أننا وجدنا الشيخ محمودي طريح الفراش لمرض ألم به ، لا يستطيع القيام ، وعندما سألناه مساعدتنا ببعض المخطوطات ، حدد لنا الخزانة ، و الرف ، و ترتيب عدد المخطوطات ، فوجدناه كما ذكر .
- 9/ حمدادو بن عمر ، المرجع السابق ، ص،ص: 158 ، 167 .
- 10/ نفسه ، ص: 157 .
- 11/ شهادة شافية تقدم بها بومدين عبد الحميد – مدير الثقافة سابقا لولاية معسكر – في لقاء خصنا به يوم : 02/ 04/ 2017 .
- 12/ كانت الطالبة تمدنا ببعض المخطوطات ، فنصورها إلكترونيا ثم نعيدها لها ، وتزودنا بمجموعة أخرى نصورها و نرجعها ، و هكذا تمكنا من تسجيل ثلاثة أقراص مضغوطة تجمع عددا من مخطوطات خزانة الشيخ محمودي . للإشارة فإن هذا العمل كان بالتعاون بين : أ/ بونقاب مختار ، أ/ بليل رحمونة ، أ/ هرياش زاجية .
- 13/ مقابلة شخصية مع الشيخ بوكعبر بلقرند في مكتبته المنزلية ، بتاريخ 07/ 04/ 2017 .
- 14/ نفسه .
- 15/ مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشيخ بلعيد برواين – معلم قرآن في بوحنيقية ، و مهتم بالتراث – بمنزله ، يوم : 01/ 04/ 2017 ، و قد ذكر لنا أنه تعلم مبادئ نسخ المخطوطات على يد " الشيخ محمودي البشير" بما فيها طريقة التسطير عن طريق اللوحة . و أن الشيخ محمودي بدوره تعلم ذلك حينما كان مجندا في الخدمة العسكرية بالشام .
- 16/ جمع الشيخ برواين هذه المخطوطات عن شخص – مهتم بالمخطوطات و متخصص في صيانتها و تصويره – من إحدى ولايات الجنوب ، أخذ منا عهدا أن لا نذكر اسمه .
- 17/ تبادلنا مع جلول جيلالي بعض المخطوطات المصورة ، لكنه كلما سألناه عن خزانة مخطوطاته ، غير الموضوع ، وبالتالي لم نوفق في إحصاء مخطوطاتها .
- 18/ مقابل نسخة مصورة " للرسائل الدرقاوية" ، أمدا الحاج جلول بنسخة عن مخطوط " درء الشقاوة في حرب الترك مع درقاوة " ، لكنه حينما اطلعنا عليها ، وجدناها مقتطفات من بعض المخطوطات .
- 19/ الدكتور بونقاب مختار أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر بجامعة معسكر ، و رئيس " جمعية أصدقاء الكتاب " بمعسكر من 1995 إلى 2011 . مهتم بالتاريخ الثقافي .
- 20/ أحمد مولاي ، " المخطوطات و البحث العلمي : دراسة تقييمية لنشاط مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية ، رسالة ماجستير في علم المكتبات ، جامعة وهران ، 2009 ، 2010 ، ص : 27 .
- 21/ خضرة سباح ، " حفظ و ترميم المخطوطات " الثقافة ، العدد 117-118 ، السنة 1999 ، ص،ص: 273 ، 280 .

^{22/} عبد المالك سبتي ، التسيير الإلكتروني للوثائق " ، المكتبات و المعلومات ، العدد 02 ، السنة 2003 ، ص : 15

^{23/} لمزيد من المعلومات يراجع : أحمد مولاي ، المرجع السابق . و مزلاح رشيد الأنظمة الآلية و دورها في تنظيم المخطوطات

^{24/} دحماني حليلة و ضياف جهيدة ، "المخطوطات الجزائرية بين الواقع و الطموح " مذكرة ليسانس في التاريخ العام ، جامعة معسكر ، 2012 – 2013 ، ص ، ص : 28 ، 29 .

قائمة المصادر و المراجع :

باللغة العربية :

1/ بونقاب مختار ، "المكتبات الخاصة في الجزائر " ، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني حول الكتاب و المكتبات ، ولاية معسكر ، مطبوعة ضمن أعمال الملتقى من قبل جمعية أصدقاء الكتاب بمعسكر ، بتاريخ 28 ماي 1998 .

2/ بن زغيبية عز الدين ، " هجرة المخطوطات : الأسباب و الطرق " ، عصور الجديدة ، جامعة وهران ، العدد : 01 ، السنة : 2011 .

3/ جيلالي جلول ، " التركيب المادي لمخزن المخطوطات " ، محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني حول الكتاب و المكتبات ، جمعية أصدقاء الكتاب ، ولاية معسكر ، غير مطبوعة .

4/ جدواني نوار ، " مخطوطات المكتبة الوطنية و أهميتها للباحثين " ، الثقافة ، العدد : 117 – 118 ، السنة : 1999 .

5/ حمادو بن عمر ، "مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي " ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، مخبر المخطوطات ، جامعة وهران ، العدد 01 ، السنة 2004 .

6/ دحماني حليلة ، و ضياف جهيدة ، " المخطوطات الجزائرية بين الواقع و الطموح " ، مذكرة ليسانس ، جامعة معسكر ، السنة الجامعية : 2012 – 2013 .

7/ سباح خضراء ، " حفظ و ترميم المخطوطات " ، الثقافة ، العدد : 117 – 118 ، السنة : 1999 .

8/ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1998 .

9/ عوفي عبد الكريم ، " جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن السابع عشر حتى نهاية القرن العشرين " ، الثقافة ، العدد : 117 – 118 ، السنة : 1999 .

10/ مزلاح رشيد ، الأنظمة الآلية و دورها في تنظيم المخطوطات ، رسالة ماجستير في علوم المكتبات ، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، 2006 – 2007 .

- 11/ مولاي أحمد ، المخطوطات و البحث العلمي: دراسة تقييمية لنشاط مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية ، رسالة ماجستير في علم المكتبات و العلوم الوثائقية ، جامعة وهران ، 2009 – 2010 .
- 12/ مجهول ، المخطوطات في الجزائر : كنوز بلا حراس ، جريدة الفجر ، بتاريخ : 08 ماي 2011
- 13/ صاحبي محمد ، " تاريخ الجزائر الثقافي من خلال المخطوطات " ، عصور ، جامعة وهران ، العدد 01 ، 2002 .
- 14/ مقابلة مع الشيخ بوكعبر بلقرند في مكتبته المنزلية ، بتاريخ 07 أبريل 2017 .
- باللغة الأجنبية :

*R.A ;1892 ; P : 165 .

*R.A .1925 : p :103-106 .